سورة المسد

مكية، وآياتها خمس
[نزلت بعد الفاتحة]

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿تَبَّتْ يَدَآ أَبِى لَهَبٍ وَتَبَّ ۝١ مَآ أَغْنَىٰ عَنْهُ مَالُهُۥ وَمَا كَسَبَ ۝٢ سَيَصْلَىٰ نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ ۝٣ وَٱمْرَأَتُهُۥ حَمَّالَةَ ٱلْحَطَبِ ۝٤ فِى جِيدِهَا حَبْلٌ مِّن مَّسَدٍ ۝٥﴾

التباب: الهلاك. ومنه قولهم: أشابة أم تابة؟ أي: هالكة من الهرم والتعجيز. والمعنى: هلكت يداه، لأنه فيما يروى: أخذ حجرًا ليرمي به رسول الله ﷺ ﴿وَتَبَّ﴾ وهلك كله. أو جعلت يداه هالكتين. والمراد: هلاك جملته، كقوله تعالى: ﴿بِمَا قَدَّمَتْ يَدَاكَ﴾ [الحج: ١٠] ومعنى: ﴿وَتَبَّ﴾: وكان ذلك وحصل، كقوله [من الطويل]:

جَـزَانِـي جَـزَاهُ الـلَّـهُ شَـرَّ جَـزَائِـهِ ... جَزَاءَ الْكِلابِ الْعَاوِيَاتِ وَقَدْ فَعَلْ[1]

---

(١) كأن قد فعل به خيرًا فجزاه شرًا، فدعا عليه بقوله: جزاه الله شر جزائه. جزاء الكلاب بدل من «شر جزائه» وضمير «جزائه» لله. أو للرجل المدعو عليه. وجزاء الكلاب العاويات: رجمها. ويروى «العاديات» بالدال، بدل الواو. وقد فعل: أي فعل الله ذلك الجزاء في الواقع، حيث أوقعه. وفيه من أنواع البديع: الرجوع، وهو العود إلى الكلام السابق بالنقض لنكتة، لأن مقتضى الدعاء أن المدعو به لم يحصل، فنقضه بقوله: «وقد فعل». ويروى بدل الشطر الأول: جزى ربه عنى عدي بن حاتم. وضمير «ربه» لحاتم، وإن تأخر لفظًا ورتبة للضرورة؛ وأجازه الأخفش، وابن جني وابن مالك في السعة؛ لأن المفعول به كان متقدمًا لشدة اقتضاء الفعل إياه. وقيل عائد للجزاء المعلوم من جزى. ويروى بدل الشطر الأول أيضًا: جزى الله عبسًا عبس آل بغيض. وهي قبيلة معروفة، ولعل الشاعر متعدد، وما حكاه بعض شراح شواهد الجامي من أن عدي بن حاتم رجل رومي بنى قصرًا للنعمان بن امرئ القيس بظهر الكوفة، فأعجبه فسأله: هل بنيت مثله فقال: لا، وبنيته على حجر لو سقط سقط القصر، فألقاه من أعلاه فخر ميتًا: فهو خطأ. والصواب أن هذه الحكاية إنما وقعت لسنمار المذكور في قوله [من البسيط]:

جزى بنوه أبا الغيلان عن كبر ... وحسن فعل كما يجزى سنمار

لأن عدي بن حاتم صحابي من لب العرب، وضمير «بنوه»: لأبي الغيلان بالكسر. وسنمار بكسرتين فتشديد. و«عن» متعلقة بجزى، أي: جزاء ناشئًا عن كبر؛ وفيه معنى التهكم. ويجوز أنها =

ويدلّ عليه قراءة ابن مسعود: «وقد تبّ» وروي: أنه لما نزل ﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ ﴿٢١٤﴾﴾ [الشعراء: ٢١٤] رقى الصفا وقال: يا صباحاه، فاستجمع إليه الناس من كل أوب. فقال: يا بني عبد المطلب، يا بني فهر، إن أخبرتكم ٢/ ٢٧٥أ أنّ بسفح هذا الجبل خيلاً أكنتم مصدقيّ؟ قالوا: نعم؛ قال: فإني نذير لكم بين يدي الساعة؛ فقال أبو لهب: تبًا لك، ألهذا دعوتنا؟ فنزلت (١٨٢٧). فإن قلت: لم كناه، والتكنية تكرمة؟ قلت: فيه ثلاثة أوجه، أحدها: أن يكون مشتهرًا بالكنية دون الاسم، فقد يكون الرجل معروفًا بأحدهما، ولذلك تجري الكنية على الاسم، أو الاسم على الكنية عطف بيان، فلما أريد تشهيره بدعوة السوء، وأن تبقى سمة له، ذكر الأشهر من علميه ويؤيد ذلك قراءة من قرأ «يدا أبو لهب»[1]، كما قيل: علي بن أبو طالب. ومعاوية بن أبو سفيان؛ لئلا يغير منه شيء فيشكل على السامع، ولفليتة بن قاسم أمير مكة ابنان، أحدهما: عبد الله ـ بالجرّ، والآخر عبد الله بالنصب. كان بمكة رجل يقال له: عبد الله ـ بجرّة الدال، لا يعرف إلاّ هكذا. والثاني: أنه كان اسمه عبد العزّى، فعدل عنه إلى كنيته. والثالث: أنه لما كان من أهل النار ومآله إلى نار ذات لهب، وافقت حاله كنيته؛ فكان جديرًا بأن يذكر بها. ويقال: أبو لهب، كما يقال: أبو الشرّ للشرير. وأبو الخير للخير، وكما كنى رسول الله ﷺ أبا المهلب: أبا صفرة، بصفرة في وجهه. وقيل: كنى بذلك لتلهب وجنتيه وإشراقهما، فيجوز أن يذكر بذلك تهكمًا به، وبافتخاره بذلك. وقرئ: أبي لهب، بالسكون. وهو من

١٨٢٧ ـ أخرجه البخاري (٩/ ٧٦٣): كتاب التفسير: باب تفسير سورة تبت يدا أبي لهب، حديث (٤٩٧١)، ومسلم (١/ ٦٢٤ أبي): كتاب الإيمان: باب قول الله تعالى وأنذر عشيرتك الأقربين، حديث (٣٥٥/ ٢٠٨)، وابن حبان (١٤/ ٤٨٦)، حديث (٦٥٥٠) وقال الحافظ في تخريج الكشاف: متفق عليه من حديث ابن عباس رضي الله عنهما. انتهى.

= بمعنى البدل، والأوجه أنها بمعنى بعد. وقيل: إنها بمعنى في، وليس بشيء؛ وعبر بالمضارع بدل الماضي استحضارًا لما مضى، لأنه عجيب.
البيت للنابغة الذبياني ينظر: ديوانه ص ١٩١، والخصائص ١/ ٢٩٤، وله أو لأبي الأسود الدؤلي في خزانة الأدب ١/ ٢٧٧، ٢٧٨، ٢٨١، ٢٨٧، والدرر ١/ ٣١٧، وللنابغة أو لأبي الأسوَد أو لعبد الله بن همارق في شرح التصريح ١/ ٢٨٣، والمقاصد النحوية ٢/ ٤٨٧، ولأبي الأسوَد الدؤلي في ملحق ديوانه ص ٤٠١، وتخليص الشواهد ص ٤٩٠، وبلا نسبة في أوضح المسالك ٢/ ١٢٥، وشرح الأشموني ٢/ ٥٩، وشرح شذور الذهب ص ١٧٨، وشرح ابن عقيل ص ٢٥٢، ولسان العرب (عوي)، وهمع الهوامع ١/ ٦٦.

(١) قال محمود: «ويؤيد ذلك قراءة من قرأ يدا أبو لهب» قال أحمد: وفي هذا دليل لأن الرفع أسبق وجوه الإعراب وأولها. ألا تراهم إنما حافظوا على صيغته التي بها اشتهر الاسم، وكانت أول أحواله.

تغيير الأعلام، كقولهم: شمس بن مالك بالضم ﴿مَآ أَغۡنَىٰ﴾ استفهام في معنى الإنكار، ومحله النصب أو نفي ﴿وَمَا كَسَبَ﴾ مرفوع. وما موصولة أو مصدرية بمعنى: ومكسوبه. أو: وكسبه. والمعنى: لم ينفعه ماله وما كسب بماله، يعني: رأس المال والأرباح. أو ماشيته وما كسب من نسلها ومنافعها، وكان ذا سابياء[1]. أو ماله الذي ورثه من أبيه والذي كسبه بنفسه. أو ماله التالد والطارف. وعن ابن عباس: ما كسب ولده. وحكي أن بني أبي لهب احتكموا إليه، فاقتتلوا، فقام يحجز بينهم، فدفعه بعضهم فوقع فغضب، فقال: أخرجوا عني الكسب الخبيث، ومنه قوله عليه الصلاة والسلام: «إن أطيب ما يأكل الرجل من كسبه وإن ولده من كسبه» وعن الضحاك: ما ينفعه ماله وعمله الخبيث، يعني: كيده في عداوة رسول الله ﷺ. وعن قتادة: عمله الذي ظنّ أنه منه على شيء، كقوله: ﴿وَقَدِمۡنَآ إِلَىٰ مَا عَمِلُواْ مِنۡ عَمَلٖ﴾ [الفرقان: ٢٣] وروي أنه كان يقول: إن كان ما يقول ابن أخي حقًا فأنا أفتدي منه نفسي بمالي وولدي ﴿سَيَصۡلَىٰ﴾ قرئ: بفتح الياء وبضمها مخففًا ومشدّدًا، والسين للوعيد، أي: هو كائن لا محالة وإن تراخى وقته ﴿وَٱمۡرَأَتُهُۥ﴾ هي أم جميل بنت حرب أخت أبي سفيان، وكانت تحمل حزمة من الشوك والحسك[2] والسعدان فتنثرها بالليل في طريق رسول الله ﷺ. وقيل: كانت تمشي بالنميمة ويقال: للمشاء بالنمائم المفسد بين الناس: يحمل الحطب بينهم، أي: يوقد بينهم النائرة ويورث الشرّ. قال [من الطويل]:

مِنَ الْبِيضِ لَمْ تَصْطَدْ عَلَى ظَهْرِ لَأْمَةٍ ... وَلَمْ تَمْشِ بَيْنَ الْحَيِّ بِالْحَطَبِ الرَّطْبِ[3]

---

(١) قوله: «وكان ذا سابياء» ذكر في القاموس من هاتيها: المال الكثير والنتاج، والإبل النتاج والغنم التي كثر نسلها. «التالد» القديم. والطارق المستحدث. (ع)

(٢) قوله: «من الشوك والحسك» في الصحاح «الحسك»: حسك السعدان. وفيه «السعدان»: نبت شوك، ولهذا النبت شوك يقال: حسك السعدان. (ع)

(٣) أنشده يعقوب. والبياض: مجاز عن الخلوص من أسباب الذم. وتصطد من الصيد، أي: الوجدان والإدراك، وزنه يفتعل: قلبت تاء الافتعال طاء على القياس. ورواه بعضهم يضدد. وبعضهم: يضطد، بالضاد المعجمة فيهما، على أنه من الضد، ولينظر وجه الثاني؛ لأن الدار فيه حقها التشديد، فلعله خففها للضرورة. واللامة: اللوم وسببه: شبهها بالمطية التي اعتاد صاحبها وكوبها على طريق المكنية، فأثبت لها الظهر تخييلاً لذلك. وروي؛ بالخطر، بدل الحطب: وهو الخشب، والحطب الذي يحظر به؛ والمراد التميحة: استعير لها ذلك بجامع ثوران المكروه من كل، لأن الحطب الرطب إذا أوقدت فيه النار كثر دخانه. وروي: لم يضدد، ولم يمش بالياء على أنها صفة لمذكر.

ينظر: لسان العرب (حطب)، (حظر)، (برعم)، ومجمع الأمثال ١/ ١٧٩، ومقاييس اللغة ٢/ ٧٩، وأساس البلاغة (حظر)، وتهذيب اللغة ٤/ ٣٩٤، ٤٥٥، وجمهرة اللغة ص ١٢٨٨، وتاج العروس (حطب)، (حظر).

جعله رطبًا ليدل على التدخين الذي هو زيادة في الشرّ، ورفعت عطفًا على الضمير في ﴿سَيَصْلَىٰ﴾ أي: سيصلى هو وامرأته. و﴿فِي جِيدِهَا﴾ في موضع الحال، أو على الابتداء، وفي جيدها: الخبر. وقرئ: حمالة الحطب، بالنصب على الشتم؛ وأنا أستحب هذه القراءة وقد توسل إلى رسول الله ﷺ بجميل، من أحبّ شتم أم جميل. وقرئ: حمالة للحطب. وحمالة للحطب، بالتنوين، بالرفع والنصب. وقرئ: ومريته بالتصغير. المسد: الذي فتل من الحبال فتلًا شديدًا، من ليف كان أو جلد، أو غيرهما. قال [من الرجز]:

وَمَسَدٍ أُمِرَّ مِنْ أَيَانِقِ[1]

ورجل ممسود الخلق مجدوله. والمعنى: في جيدها حبل مما مسد من الحبال، وأنها تحمل تلك الحزمة من الشوك وتربطها في جيدها كما يفعل الحطابون: تخسيسًا لحالها، وتحقيرًا لها، وتصويرًا لها بصورة بعض الحطابات من المواهن، لتمتعض[2] من ذلك ويمتعض بعلها؛ وهما في بيت العزّ والشرف. وفي منصب الثروة والجدة. ولقد عيّر بعض الناس الفضل بن العباس بن عتبة بن أبي لهب بحمالة الحطب، فقال [من البسيط]:

مَاذَا أَرَدْتَ إِلَى شَتْمِي وَمَنْقَصَتِي ... أَمْ مَا تُعَيِّرُ مِنْ حَمَّالَةِ الْحَطَبِ؟
غَرَّاءَ شَادِخَةٍ فِي الْمَجْدِ غُرَّتُهَا ... كَانَتْ سَلِيلَةَ شَيْخٍ ثَاقِبِ الحَسَبِ[3]

---

(١) إن سرك الإرواء غير سائق ... فاعجل بغرب مثل غرب طارق
ومد أمر من أيانق ... ليس بأنياب ولا حقائق
ولا ضعاف مخهن زاهق

لعمارة بن طارق. يقول: إن سرك الاستسقاء حال كونك غير سائق للإبل التي يسقي عليها، فأسرع إلى ماء بئر بدلو عظيمة مثل دلو طارق أبي. وبحبل أمر: بالبناء للمجهول. أي: فتل فتلًا شديدًا. من أيانق، أي: من أوبارها، أو من جلودها. والأيانق: جمع أينق. والأينق: جمع نوق. والنوق: جمع ناقة، ليس ذلك الحبل أنيابًا، أي: نوقًا مسنة، ولا حقائق: أي فتيات، ولا ضعافًا: أي ليس من هذه الأنواع التي تساق بمشقة ففي هذا التنويع تغير عنها. ويروى: لسن، أي: النوق التي يفتل منها. والأشبه: أن حق الرواية مع أيانق، أي: أعجل بحبل مفتول من الليف الأبيض. ونوق شداد: لا تحتاج إلى السوق. ومخهن زاهق: قال الفراء: هو مرفوع، والشعر مكفا. يقول: بل مخهن مكتنز سمين على الابتداء، وهذا مما يؤيد رواية: لسن بالنوق. وقال غيره: الزاهق هنا الذاهب، وهو مجرور بالعطف، أي: ولإضعاف مخهن. وزاهق بالجر ردًا على ضعاف، فكأنه رفع مخهن بضعاف.

ينظر: تاج العروس (زهق) لعمارة بن طارق، ولعثمان بن طارق في لسان العرب (زهق).

(٢) قوله: «من المواهن لتمتعض» جمع ماهن وهي الخادم. والامتعاض: الغضب. أفاده الصحاح. (ع)

(٣) البيتان من روح المعاني للألوسي ٣٣٨/١٥ وهو تعبير الفضل بن العباس بن عتبة بن أبي لهب. وحمالة الحطب: زوجة أبي لهب؛ فهي جدته. والغراء البيضاء. والشادخة: المتسعة؛ وذلك مجاز =

ويحتمل أن يكون المعنى: أنّ حالها تكون في نار جهنم على الصورة التي كانت عليها حين كانت تحمل حزمة الشوك؛ فلا تزال على ظهرها حزمة من حطب النار من شجرة الزقوم أو من الضريع وفي جيدها حبل من ما مسد من سلاسل النار؛ كما يعذب كل مجرم بما يجانس حاله في جرمه.

عن رسول الله ﷺ: «من قرأ سورة تبت رجوت أن لا يجمع الله بينه وبين أبي لهب في دار واحدة»/ ٢/ ٢٧٥ب (١٨٢٨).

١٨٢٨ ـ تقدم برقم (٣٤٦) قال الحافظ: أخرجه الثعلبي والواحدي وابن مردويه من حديث أبي بن كعب. ا. هـ.

= عن الظهور وارتفاع المقدار. والسليلة من سل من غيره، والمراد بالشيخ: أبوها حرب، لأنها أم جميل أخت أبي سفيان بن حرب، كانت عوراء، وماتت مخنوقة بحبلها الذي كانت تحمل فيه الحطب. وقيل: حمل الحطب مجاز عن إثارة الفتنة، لأنها كانت نمامة. وإلى شتمي: متعلق بمحذوف أو بأردت على طريق التضمين، أي: أي شيء أردته ماثلاً أنت إلى شتمي، أو منضمًا هو إلى شتمي. أو ما الذي أردته من شتمي أو مع شتمي؟ هل أردت أنك شريف لا عيب فيك. ويجوز أن إلى بمعنى من كما قال النحاة، واستشهدوا عليه بقوله [من الطويل]:

تقول وقد عاليت بالكور فوقها أيُسْقَىٰ فلا يروى إلى ابن أحمرا؟

ويمكن أنها للمصاحبة، كما قالوه أيضًا في قوله تعالى: ﴿وَلَا تَأْكُلُوٓا۟ أَمْوَٰلَهُمْ إِلَىٰٓ أَمْوَٰلِكُمْ﴾ وتعير: أصله تتعير، فحذف منه إحدى التاءين. أما تتعير من جدتك النمامة لا ينبغي عدم ذلك. وروي: ثاقب الحسب. والمعنى: أن حسبه أصيل، فكأنه داخل في أجداد السابقين، أو سائر بين الناس؛ وذمها الآن مع رفعة شأنها فيما كان: أشد في الامتهان.